تحرير مفهوم "مصادر المعرفة" في النظرية التربوية الإسلامية

تاريخ الإرسال 2022/6/17 تاريخ القبول 2022/8/22

زينب محمد أحمد عبد القادر (*)

الملخّص

هدف هذا البحث إلى بلورة تصور متكامل لمفهوم "مصادر المعرفة" في نظرية المعرفة الإنسانية يتفق مع مصادر النظرية التربوية الإسلامية ومركزيتها في منظومة العمل التربوي وذلك من خلال مبحثين، حيث تناول المبحث الأول مفهوم "مصادر المعرفة" في اللغة العربية والقرآن الكريم وبيانه النبوي الشريف وفي اصطلاح المفكرين والفلاسفة المسلمين والغربيين وانتهى إلى أنَّ مفهوم "مصادر المعرفة" يعني: الأصل الذي تنشأ عنه المعرفة، أي المكان والمنبع الذي يحوي أو يجمع المعرفة، وبتكامل وظائف الحواس والعقل يمكن إدراك وتعلم وتمييز هذه المعارف. وأنه لم يتم ضبط المصطلح المركب "مصادر المعرفة" في طرح نظرية المعرفة ومصادرها في النظرية التربوية الإسلامية لدى الباحثين المسلمين والفلاسفة الغربيين. وتناول المبحث الثاني "مصادر المعرفة" عند المفكرين المسلمين، والغربيين، والرأي الراجح في هذا البحث، وانتهى إلى أنَّ الباحثين المسلمين والفلاسفة الغربيين متفقون على أن (الحس والعقل) مصدران رئيسان في نظرية المعرفة الإنسانية، ومختلفان في مصدرية الوحي الإلهي ويضيف بعضهم الحدس والإلهام والرؤية الصادقة مصادر تبعية للمعرفة الإنسانية، ويرجح هذا البحث أن (الوحي والكون) فقط مصدران رئيسان للمعرفة في نظرية المعرفة الإنسانية في التربية الإسلامية. ولتحقيق أهداف البحث استخدم المنهج الاستقرائي والاستنباطي والوصفي. وأخيرا أوصى البحث وقف طرح (العقل والحس) مصادر رئيسة في الطرح المعرفي في نظرية المعرفة الإنسانية، وطرح مزيد من المعالجات البحثية التي تُعنى بنظرية المعرفة الإسلامية وحقيقة مصادرها الرئيسية والتبعية بما يظهر مكانتها في النظرية التربوية الإسلامية ودورها في تربية المسلمين.

الكلمات المفتاحية: المعرفة، مصادر المعرفة، النظرية التربوية الإسلامية، نظرية المعرفة.

(*) وزارة التربية والتعليم.

A revision of the "The knowledge sources" concept in Islamic Educational Theory

ABSTRACT

Through two sections, the purpose of This study aimed to crystallize an integrated vision of "the knowledge sources" concept the concept of "sources of knowledge" in the theory of human knowledge in accordance with the sources of Islamic educational theory and its centrality to crucial role in the educational work system. The paper tackled two topics; Whereas the first topic examined the concept of "the knowledge sources" in the Arabic language, the Noble Holy Qur'an, its noble Prophetic statement, and the terminology of Muslim and Western thinkers and philosophers. , it is determined it is concluded that the concept of "sources of knowledge" refers to the origin from which of the knowledge arises, that is; the place and source that contains includes or collects knowledge, and with the integration of the functions of mind and senses it is possible to realize can perceive, learn, and distinguish these sources of knowledge. The compound term "knowledge sources" did not adjust in presenting the presentation of the knowledge theory of knowledge and its sources in the Islamic educational theory of by Muslim researchers and Western philosophers. , the complex term "sources of knowledge" is not controlled. The second topic is "sources of knowledge" for Muslim and Western thinkers, as well as the most accurate opinion in this research. The findings show that conclusion is that Muslim researchers and Western philosophers agree that (sense and reason) are two main sources in human knowledge theory, but they disagree on the source of divine revelation. , and Some of them add intuition, inspiration, and vision as accessory sources for the human knowledge. This research reveals that revelation and the universe are the only two main sources of information in the idea of for the human knowledge in Islamic education, which is based on the concept of sincere sources of human knowledge. To achieve the objectives of the research, inductive, deductive, and descriptive methods are employed. Finally In conclusion, the study recommended s discontinuing the presentation to stop presenting of the mind and sense as primary sources in the cognitive presentation of the theory of human knowledge, but provide and providing more research treatments processing that are concerned with the Islamic knowledge theory and the reality of its primary and accessory sources and dependence, which demonstrates its position in the Islamic educational theory and its role in educating Muslims.

Keywords: knowledge, sources of knowledge, Islamic educational theory, epistemology.

المقدمة:

الحمد لله منزل الكتاب والهادي إلى الصواب والذي صلَّى على عبده المصطفى محمد وعلى آله وسلَّم، وبعد:

تعد الأنظمة التربوية الفاعلة في المجتمع أنظمة إسلامية تمثل نهج الإسلام وأصالته إذا كانت تصدر عن مرجعية الإسلام وأصوله المقررة في الوحي وتنضبط بمقرراته وتلتزم بثوابته.

وفي السلم التربوي فإن النظرية التربوية الإسلامية تحتل المركز الأول في العملية التربوية وتشمل على منظومة المعارف الإسلامية عن الوجود، والقيم، وطبيعة الإنسان، وكل هذه المعارف مستمدة من المصادر الشرعية والإنسانية، الرئيسة والثانوية، ولهذه المعارف تأثيرها الواضح والفعال بكل مسارات العمل التربوي الفكرية والتطبيقية في البناء والتوجيه، والضبط، والتفسير، والتطوير.

تشكل نظريَّة المعرفة الإنسانية جزءًا رئيسا في النظرية التربوية الإسلامية وتبحث في مصادر المعرفة وأصلها وطبيعتها، وقيمتها، ووسائلها، وحدودها. والحديث عن مصادر المعرفة يطول ويتشعّب فمصادر المعرفة هي مبحث من مباحث نظرية المعرفة، ويُمثِّل موضوع المصادر أهمية خاصَّة في النظريَّة المعرفية فهو حجر البناء لأي نسق معرفي؛ إذ من المصادر المعرفية تُستقى المعارف والأدلة.

غَيْرَ أنَّ مفهوم "مصدر المعرفة" يشوبه بعضُ الغموض في الاستعمال الدلالي لدى غالبية الباحثين في نظرية المعرفة، ولهم حوله آراء عدة وتصورات مُختلفة.

وإذا تتبَّعنا طرحَ مصطلح "مصادر المعرفة" في الكثير من البُحُوث، نجد اختلافًا واضطرابًا في استعماله الدلالي والاصطلاحي، وتداخلاً مع مفاهيم أخرى فيما يعد خلطًا أدى إلى التباسٍ بين "مصادر المعرفة" و"أدوات المعرفة" و"طرق المعرفة"؛ إذ يُستخدم

أحيانا للدلالة على "أدوات المعرفة" وأحيانا أخر يستخدم للدلالة على طرق المعرفة" مما يُوقع في إشكالات فكرية وتصورات خاطئة لدى كثير من الباحثين في نظرية المعرفة الإنسانية.

والرؤية الإسلامية في هذا المبحث هي التي تميزت عن بقية المذاهب والمدارس الفلسفية بالتكامل والشمول لاعتمادها على (الوحي والكون) مصدرًا للمعارف الإسلامية وهي بهذا تخالف تلك المذاهب التي ضيقت مصادر المعارف وحصرتها في طرقها العقلية وأدوتها الحسية، لذا ينبغي العناية بهذا الموضوع لأن كثيرًا من الانحرافات العقدية في كثير من المدارس الفكرية نتجت عن الخلل في مصادر التلقي؛ ولذلك جاء هذا البحث ليعمل على تحرير مفهوم "مصادر المعرفة" في النظرية التربوية الإسلامية.

مشكلة البحث وأسئلته:

يُشكل موضوع المصادر أهميةً خاصَّة في نظرية المعرفة في التربية الإسلامية؛ غير أن لكثير من الباحثين في هذا الموضوع آراء عدة، وتصوُّرات مُختلفة حول المصادر وتقسيماتها فالبعضُ يَجعل طرق المعرفة مصادر لها وحتى وسائلها وأدواتها، وإذا تتبعنا طرح مصطلح "مصادر المعرفة" في الدراسات السابقة نجد اختلافًا، بل اضطرابًا في استعماله اللغوي والدلالي وتَداخلاً مع مصطلحات أخرى؛ مما يُوقع في إشكالات فكرية، فهي تتعامل مع المصطلحات دون ضبط لغوي واصطلاحي أو تحديد دلالي؛ مما جعل الكثير من الباحثين يخلط بين المصادر والأدوات والطرق، كما أن المتأمل في الآراء والمذاهب الفكرية الإسلامية وغيرها من المدارس الفلسفية يجد الخلط الواضح في استعمال مصطلح "مصادر المعرفة" للدلالة على "طرق تحصيل المعرفة" أو للدلالة على "أدوات نقل المعرفة"، فيرى أغلبهم أن العقل والحس مصادر رئيسة للمعرفة ويرى بعضهم أن الحدس والإلهام والرؤيا الصادقة مصادر ثانوية للمعرفة، ولا يرى غالبيتهم

فرقا في الاستعمال بين مفاهيم "مصادر المعرفة"، و"أدوات المعرفة"، و"طرق المعرفة" وعليه فإن هذا البحث أجاب عن الأسئلة الآتية:

أسئلة البحث

السؤال الأول: ما مفهوم مصادر المعرفة؟ ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

1- ما مفهوم "مصادر المعرفة" في اللغة العربية؟

2- ما مفهوم "مصادر المعرفة" في القرآن الكريم وبيانه النبوي؟

3- ما مفهوم "مصادر المعرفة" في الاصطلاح الفكري الإسلامي والغربي؟

السؤال الثاني: ما مصادر المعرفة عند المفكرين المسلمين والغربيين؟ ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

السؤال الثالث: ما حقيقة مصادر المعرفة في النظرية التربوية الإسلامية؟

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

1. بيان مفهوم "مصادر المعرفة" في اللغة العربية.
2. بيان مفهوم "مصادر المعرفة" في القرآن الكريم وبيانه النبوي.
3. بيان مفهوم "مصادر المعرفة" في الاصطلاح الفكري الإسلامي والغربي.
4. بيان مصادر المعرفة عند المفكرين المسلمين والغربيين.
5. بيان حقيقة مصادر المعرفة في النظرية التربوية الإسلامية.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث الحالي في الجوانب الآتية:

1. إفادة القائمين على النظام التربوي الإسلامي، وذلك بإعادة النظر في مصادر المعرفة في النظرية التربوية الإسلامية.

2. إفادة المربين ومخططي المناهج ومؤلفي الكتب المدرسية في الوقوف على مصادر المعرفة الحقيقية في النظرية التربوية الإسلامية، والأبعاد الخطيرة في جعل أدوات المعرفة الحسية وطرقها العقلية مصادر لها.
3. إفادة الدارسين والباحثين المهتمين بنظرية المعرفة، بفتح الآفاق أمامهم للقيام ببحوث ودراسات مستقبلية في ضوء ما انتهى إليه البحث الحالي.
4. إثراء المكتبة الإسلامية وسد النقص الحاصل فيها والمتصل بهذا الموضوع؛ حيث إنه لم يحظ هذا الجانب بأبحاث ودراسات كافية وعميقة.

الدراسات السابقة:

قامت الباحثة بتتبع الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث في مكتبات الجامعات الأرنية، ومن خلال البحث العام على شبكة الانترنت ظهر للباحثة في ضوء ما بذلته من جهود أنه لايوجد رسالة علمية بعنوان هذا البحث، ولكن هناك عدد من الدراسات لها صلة ما بموضوع البحث وهي مرتبة من من الأحدث إلى الأقدم على النحو الآتي:

- **دراسة سمير بن سعد السلمي " نظرية المعرفة في الإسلام وتطبيقاتها التربوية دراسة تحليلية**[1]".هدفت الدراسة تناول ملامح نظرية المعرفة في الإسلام وتطبيقاتها التربوية بصورة تحليلية، ولتحقيق هذا الهدف استخدمت الدراسة المنهجين الأصولي والوصفي، وجاءت مكونة من أربعة محاور، جاء المحور الأول عن المحور المفاهيمي للمعرفة في الإسلام، وعرض المحور الثاني: نظرية المعرفة في الإسلام، وجاء المحور الثالث عن: مصادر المعرفة الإسلامية، وعرض المحور الرابع: بعض التطبيقات التربوية لنظرية المعرفة في الإسلام، وأوصت الدراسة بالاهتمام بالتطبيقات التربوية التي كشفت عنها بتفعيلها بالمؤسسات

التربوية، وتوعية أفراد المجتمع بملامح النظرية المعرفية، وتضمينها في البرامج والمقررات الدراسية.

- **دراسة موسى هزايمة "مصادر المعرفة التي اعتمدتها المدارس الفكرية وانعكاسها على أصول التربية في المجتمع الإنساني"**[2]. هدفت الدراسة إلى بيان مصادر المعرفة التي اعتمدتها المدارس الفكرية وانعكاسها على أصول التربية في المجتمع الانساني وذلك من خلال تناول تصور كل مدرسة من المدارس الفكرية لمصادر المعرفة التي اعتمدتها وكيف انعكس هذا التصور على أصول التربية في المجتمع الإنساني، وذلك باتباع المنهج الوصفي التحليلي، وفي الخاتمة أجمل خلاصات تلك الدراسة في مختلف الشعب التي تناولها، وعقب على هذا الإجمال بتصنيف لمصادر المعرفة وفق التصور الإسلامي.
- **دراسة عماد الشريفين وآخرون "مصادر المعرفة في القرآن الكريم والفلسفات التربوية، دراسة مقارنة"**[3]. هدفت الدراسة إلى الكشف عن مصادر المعرفة في الفلسفات التربوية المثالية والواقعية والبرجماتية، ونقدها في ضوء مصادر المعرفة في القرآن الكريم، من خلال المنهج الوصفي والاستقرائي والاستنباطي، والذي كشف عن اختلاف حاد في نظرة الفلسفات التربوية إلى مصادر المعرفة، وأن مصادر المعرفة في الفلسفات تعد مصدرا من مصادر المعرفة في القرآن الكريم، وأوصت الدراسة بإعادة بناء فلسفات التعليم في العالم العربي والإسلامي، وفق رؤية القرآن الكريم لمصادر المعرفة.
- **دراسة راجح الكردي "نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة"**[4]. هدفت الدراسة إلى بيان عناصر نظرية المعرفة التقليدية، وذلك من خلال البحث في إمكان الحصول على المعرفة بين مذاهب الشك واليقين، وموقف القرآن من إمكان المعرفة، بالإضافة

إلى طبيعة المعرفة وأصل المعرفة وطرقها وأنواعها وذلك وفق المنهج المقارن. وأوصت الدراسة بضرورة توجيه الدراسات نحو نصوص القرآن الكريم كونه المصدر الأساس في مختلف الدراسات البحثية.

- **دراسة أحمد الدغشي "نظرية المعرفة في القرآن"** [5]. هدفت الدراسة إلى الكشف عن طبيعة المعرفة ومصادرها وطرائقها وإمكان الحصول عليها من خلال القرآن الكريم، كما بينت ما تتضمنه موضوعات نظرية المعرفة من جوانب تربوية.

ما يميز البحث الحالي:

- يتفق البحث الحالي مع **الدراسات** السابقة في البحث في مصادر المعرفة، ولكن ما يميز البحث الحالي أنه حرر مفهوم "مصادر المعرفة" وبلوره عما علق به من مفاهيم أخرى مثل "أدوات المعرفة" و"طرق تحصيل المعرفة" والتي خلطها الباحثون بمفهوم مصادر المعرفة، إذ جعلوا المصادر أدوات احيانا، وأحيانا أخر جعلوها طرق، ومنهم من جعل المصادر مرادفة للأدوات والطرق.
- حدد المصادر الحقيقية للمعرفة وبيَّن حقيقة مصدرية (العقل والحس)، وهل هما مصدران حقيقيان للمعرفة كما اتفقت **الدراسات** السابقة على أنهما مصدران للمعرفة، لكن البحث الحالي بلور المصادر الحقيقة للمعرفة والمتمثلة ب (الوحي والكون).

منهجية البحث:

اعتمدت الباحثة على المنهج الاستقرائي والاستنباطي والوصفي، **وذلك من خلال الآتي:**

1. تتبع مصطلح "مصادر المعرفة" في معاجم اللغة العربية، واستعمالات القرآن والبيان النبوي لهذا المصطلح مفككاً، ثم استنباط المفهوم المركب "مصادر المعرفة".

2. الرجوع إلى المؤلفات المعاصرة المتعلقة بمصادر المعرفة في الفكر التربوي الإسلامي والفلسفات التربوية الأخرى.
3. تحليل وتفسير النصوص والكشف عن العلاقة بينها لبلورة مفهوم "مصادر المعرفة" ومصادر الحقيقية في نظرية المعرفة في التربية الإسلامية.

مصطلحات البحث:

وهذه المصطلحات هي التي وصلت إليها الدراسة الحالية، وهي المعتمدة فيها، وهي على النحو الآتي:

المصدر: أصل ينشأ عنه غيره.

المعرفة: ما يتكون في الذهن من مفهوم لشيء بتفكر وتدبر لأثره بعد أن لم يكن.

مصادر المعرفة: منبع العلوم والمعلومات والمعارف التي تشكلت في الذهن، ومكان، وجودها، ومنشؤها.

مصادر المعرفة في النظرية التربوية الإسلامية: منبع العلوم وأصلها بالنسبة للمفكر المسلم هي: (الوحي، والكون).

أما مفهوم النظرية التربوية الإسلامية فقد اعتمدت الباحثة التعريف الآتي:

النظرية التربوية الإسلامية: منظومة المعارف الإسلامية المستمدة من المصادر الشرعية والثانوية ذات التأثير الفعال والعلاقة الواضحة بكل مسارات العمل التربوي، الفكرية والتطبيقية بناءً وتوجيها، وضبطا، وتفسيرا وتطويرا[6].

وفي السطور الآتية سوف يتطرق البحث لمصطلحات الدراسة بالبحث والترجيح على النحو الآتي:

مفهوم "مصادر المعرفة" في النظرية التربوية الإسلامية

يُمثِّل موضوع المصادر في النظريَّة المعرفية حجر البناء الأساس للنسق المعرفي فيها، إذ من المصادر المعرفية تُستقى المعارف والأدلة، ولما كانت مصادر المعرفة هي موضوع هذا البحث ستعرض الباحثة مفهوم (المصدر) في اللغة العربية وفي القرآن الكريم والبيان النبوي الشريف وسوف تتتبع الباحثة طرحَ مصطلح "مصادر المعرفة" في اصطلاح بعض المفكرين المسلمين في التربية الإسلامية والفلسفات الأخرى على النحو الآتي:

المبحث الأول

مفهوم "مصادر المعرفة"

المطلب الأول: مفهوم "مصادر المعرفة" في اللغة العربية

أولاً: مفهوم "المصدر" في اللغة العربية

كلمة "مصدر" في هذا البحث جزء من عنوانه الكامل، لذلك لابد من الوقوف على معناها في اللغة العربية واستعمال القرآن والبيان النبوي، وفي اصطلاح الباحثين بما يخدم موضوع هذا البحث.

تعريف "المصدر" في معاجم اللغة العربية: من الفعل الثلاثي (صَدَرَ)، الصاد والدال والراء أصل فيه، وصَدَرَ الأمر: وَقَعَ وتقرّر. وصَدَرَ الشيءُ عن غيرِه: نَشَأَ. ويقال: فلان يصدر عن كذا، أي يستمد منه. وصَدَرَ إلى المكان: انتهى إليه. والمَصْدَرُ: ما يصدُرُ عنه الشيءُ وصَدَرَ عن المكان والورد صَدْرًا، وصَدَرًا: رَجَعَ وانصرف. والمَصادِرُ: جمع مَصدَر. (7)

وقد أجمعت معظم معاجم اللغة العربية(8) على أن المصدر في لغة العرب: مفردٌ، جمعه مصادر وهو موضع الصدور، **فالمصدر إذنْ:** أصل ينشأ عنه غيره، ومن هنا

جاء وصف ما تنبثق عنه المعرفة وتتولد منه بالمصادر، لأنها هي الأصل والمعرفة ناشئة عنها، أَيْ أَصْلُهَا، ومَنْبَعُهَا ومَرْجِعُهَا، ومَكَانُ صُدُورِهِا.

ثانياً: مفهوم "المعرفة" في اللغة العربية

مَعْرِفَةٌ: مصدر (عَرَفَ) والجمع مَعَارِفُ، ولَهُ مَعْرِفَةٌ مُبَاشِرَةٌ بِالأَشْيَاءِ: لَهُ عِلْمٌ بِهَا دونَ وَاسِطَة ويَطْلُبُ الْمَعْرِفَةَ أَيْنَمَا كَانَتْ. والمعرفة إِدْرَاكُ كُنْهَ الأَشْيَاءِ وَحَقِيقَتَهَا، وعَرَفَ الشيء أدركه بعلمه.[9] وعَرَفَهُ: عَلِمَه، والمَعْروفُ: ضِدُّ المُنْكَرِ.[10] ومعرفة مكتسبة: معرفة النَّفس بالعالم الخارجيّ، وعَرَفَ الشيء: أدْركة بحاسة من حواسة.[11] والمَعرِفة: حصيلة التَّعلُّم عبر العصور، والمعرفة ضدّ النّكرة، وعَرَفَ الحقيقة: علمها وأدركها، وعَرَفَ حقَّ المعرفة: عَرَفَ دون شك وتعرَّف إليه/عليه: عرفه وتحقق منه بالنظر إلى صورته أو السماع إلى صوته أو بشَبه في معالمه، والمعرفة المعلومات والعلوم.[12]

فالمعرفة هي إدراك الشيء على ماهو عليه، مع كونها مسبوقة بجهل أو نسيان حاصل بعد الإدراك الأول. [13] لذلك وصف الله تعالى نفسه بالعلم ولم يصف الله تعالى نفسه بالمعرفة لأنها تحصل بعد جهل والله تعالى ذكره عن الجهل. وقد فرَّق بعض أهل اللغة بين المعرفة والعِلْم ومن ذلك قول أبي هلال العسكري: "الفرق بين العلم والمعرفة أن المعرفة أخص من العلم، لأنها علم بعين الشيء مفصلاً عما سواه، والعلم يكون مجملاً ومفصلاً، فكل معرفة علم، وليس كل علم معرفة، وذلك أن لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره". [14]

إنه وبناءً على ماسبق فإن المعرفة في اللغة العربية تعني: ما يتكوَّن في الذِّهْن من مَفْهوم لشَيْء بتفكرٍ وتدبرٍ لأثره بعد أن لم يكن، وهي مَجموع المَعارِف والعلوم المُكتَسَبة بالدِّراسة، ويتم الإدراك بالحواْس لأَمْرٍ ما وتَمْييزه من غيره، وهي أخصّ من العلم.

ثالثاً: المفهوم المركب "مصادر المعرفة"

من خلاصة البحث في معاجم اللغة العربية لمصطلح "مصدر" ولمصطلح "المعرفة" فإن المصدر هو المَنْبَع، والمَنْبِت، والمَعِين، والأصل والمَنْشأ، والمعرفة هي المعلومات، والعلوم والمعارف التي تتشكل في الذهن عبر الحواس **وبذا يصبح مفهوم "مصدر المعرفة" في اللغة العربية يعني:** منبع العلوم والمعلومات والمعارف التي تشكلت في الذهن ومكان وجودها ومنشؤها. وهذا يعني أنها معارف موجودة خارج الذات الإنسانية العارفة، ثم انتقلت إلى الذات العارفة عن طريق الحواس، وفي داخل الذات العارفة العمليات الإدراكية التي جرت على تلك المعارف الخارجة عن الذات العارفة فتشكلت المعرفة في ذهن الذات الإنسانية العارفة بعد أن لم تكن. ومن هنا تبرز لدينا مفاهيم أساسية لا بد من التمييز بينها في الاستخدام وهي "مصدر المعرفة"، و"أداة المعرفة" و"طريق المعرفة أو العمليات المعرفية"، " و"الذات العارفة" و"الموضوع المعروف" وبناء على ما سبق سوف تتمايز هذه المفاهيم من خلال المباحث التالية من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني: مفهوم "مصادر المعرفة" في القرآن الكريم، وبيانه النبوي

أولاً: مفهوم "المصدر" في القرآن الكريم، وبيانه النبوي

المصدر في القرآن الكريم: وردت في القرآن الكريم مشتقات كلمة (صدر) (46) مرَّة، وجاءت لتدل على معنيين الأول بمعنى الرجوع والانصراف وذلك في قوله تعالى: ﴿**قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**﴾ ﴿القصص:23﴾ ويُصْدِرُ الرِّعَاءُ دوابهم في الآية تعني أنهم سقوها وصرفوها عن الماء وذكر الثعلبي حتى يرجعوا عن الماء ويصرفو مواشيهم.[15] ومنها قوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ**﴾ ﴿الزلزلة: 6﴾، ذكر الطنطاوي في تفسيره أنه الرجوع والانصراف.[16]

أما المعنى الثاني لكلمة (صدر) في القرآن الكريم تعني صدْر الإنسان وهو الجزء الممتد من أسفل العنق إلى فضاء الجوف، وسمي القلب صدرًا لحلوله به. وفي التنزيل ﴿**قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ**﴾ ﴿آل عمران:29﴾ [17]. و(صَدْرُ): أعلى مُقَدَّمِ كُلِّ شيءٍ وأولُه، وكلُّ ما واجَهَكَ. [18]

أما كلمة (مصدر) في البيان النبوي الشريف فلم تخرج عن المعاني التي جاءت في اللغة العربية والقرآن الكريم حيث جاءت لتدل على مقدمة كل شيء؛ أي: أصله الذي عنه يصدر، ففي الحديث النبوي الشريف: قال رسولُ اللهِ ρ: "إنَّ اللهَ افتَرَض عليكم فرائضَ فلا تُضيّعوها وحَدَّ لكم حدودًا فلا تعتَدُوها ونهاكم عن أشياءَ فلا تنتَهِكوها وسكَت عن أشياءَ مِن غيرِ نِسيانٍ فلا تكَلَّفُوها رحمةً مِن ربّكم فاقبَلوها الأمورُ كلُّها بيدِ اللهِ، مِن عندِ اللهِ مصدرُها، وإليه مرجِعُها".[19] وهذا الحديث واضح في أن البيان النبوي استخدم كلمة مصدر بمعنى مرجع ومنبع وأصل المعرفة وفي الحديث هو الله تعالى.

وقال ρ: "العجبُ أنَّ ناسًا مِنْ أُمَّتي يَؤُمونَ البيتَ لِرَجُلٍ مِنْ قريشٍ، قَدْ لَجَأَ بالبيْتِ، حتَّى إذا كانوا بالبيداءَ خُسِفَ بِهم، فيهم المسْتَبْصِرُ، والمجبورُ، وابنُ السبيلِ، يَهْلِكونَ مَهْلَكًا واحدًا، ويَصْدُرونَ مصادِرَ شَتَّى يَبْعَثُهُمُ اللهُ على نِيَّاتِهِمْ".[20] وقد أورد المناوي في شرح الجامع الصغير توضيح قوله ρ (يصدرون مصادر شتى)، أي يوم القيامة يبعثهم الله مختلفين.[21] وهذا المعنى من معاني كلمة "مصدر" في اللغة العربية وهو بمعنى الرجوع والانصراف إلى الأصل والمورد.

أما المعنى الثاني لكلمة (صدْر) وهي صدر الإنسان فقد جاءت في أحاديث عدة منها ما روى عبد الله بن عمر: " أنَّ رسولَ اللهِ ρ ضرب صدْرَ عمرَ بيدِهِ حينَ أسلم ثلاثَ مراتٍ وهو يقولُ : اللهمَّ أخرِجْ ما في صدرِ عمرَ من غلٍّ وأبدِلهُ إيمانًا"[22]. وهكذا فإن جميع الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في كتب السنن – والتي يصعب حصرها

هنا – لم تخرج عن المعاني اللغوية في استخدام كلمة (مصدر) فهي الأصل، والمورد، والمنبع، ومكان صدور الأشياء، والرجوع والانصراف من وإلى الأماكن والموارد، وأعلى مُقَدَّمِ كُلِّ شيءٍ وأولُه.

ثانياً: مفهوم "المعرفة" في القرآن الكريم وبيانه النبوي

إن المتتبع لمشتقات الفعل (عَرَفَ) في القرآن الكريم يجد أنه تكرر بمشتقاته (71) مرّة، وجاءت مشتقات الفعل (عَرَفَ) لتدل على عدة معان منها: المعرفة الحسية كقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**﴾ (البقرة:146) وضده الإنكار، والمتتبّع لاستعمالات لفظ "معرفة" في القرآن الكريم يجد أن ورود المعرفة في القرآن جاء بوصفها إدراكاً مكتسباً، وقد ذُكِرت في مواضعَ عدّة مقرونة بأداة المعرفة "العين"، وإمّا "الأذن".[23]

أمّا في البيان النبوي الشريف فلم تخرج استعمالات مشتقات الفعل (عَرَفَ) عن المعاني الواردة في معاجم اللغة العربية واستعمالات القرآن الكريم لها، ومن ذلك:

قال ρ: (القُضاةُ ثلاثةٌ اثنانِ فى النَّارِ وواحِدٌ فى الجنَّةِ رجُلٌ عرَفَ الحقَّ فقَضى بِه فَهوَ فى الجنَّةِ ورجلٌ قضى بينَ النَّاسِ بجَهلٍ فَهُوَ فى النَّارِ ورجلٌ عرفَ الحقَ فجارَ فَهوَ فى النَّارِ) [24]، وقد اتفقت معظم الشروح في توضيح معنى الحديث أن (رجل عرف الحق فجار) الوارد في الحديث هو من اجتهد بغير علم[25]، والعلم كما ذكرنا سابقا أعلى من المعرفة والمعرفة أخص من العلم، لأنها علم بعين الشيء مفصلاً عما سواه، فكل علم مسبوق بمعرفة.

وقال ρ: (الإيمانُ معرفةٌ بالقلبِ وإقرارٌ باللِّسانِ وعمَلٌ بالأركانِ)،[26] ويبدو أن من مقومات الإيمان المعرفة، وإظهار ما يعرفه من معتقدات على لسانه وبخاصة الشهادتان وطاعة الله في أركان الشريعة المقدسة، وفي تعريف الإيمان في الحديث

بالمعرفة ما يفيد أنّ الإيمان حالة في النفس وليست معلومة من معلوماتها. وهذه الحالة تستلزم الالتزام بما انطوت عليه النفس من معرفة[27]، وقد أوردت الباحثة هذه الأحاديث بغرض توضيح استعمالات البيان النبوي لمصادر الفعل (عَرَفَ)، والبيان النبوي للمسترشدين فيه من الأحاديث التي تدلل على أن البيان النبوي لم يخرج هو أيضا عن المعاني اللغوية المستعملة في اللغة العربية للدلالة على معاني الفعل (عَرَفَ) ومشتقاته اللغوية.

خلاصة ما سبق: أن كلمة "مصدر" في معاجم اللغة العربية وفي القرآن الكريم وبيانه النبوي الشريف تعني أصل ينشأ عنه غيره، وهو ما تنبثق عنه المعرفة أَيْ أَصْلُهُا، مَنْبَعُهُا مَرْجِعُهُا ومَكَانُ صُدُورِها، وأعلى مُقَدَّمِ كُلِّ شيءٍ وأولُه؛ وأن كلمة "معرفة" تدل على إدراك صور الأشياء أو صفاتها، وبناءً عليه فإن مفهوم "مصادر المعرفة" يعني المكان والمنبع الذي يحوي أو يجمع المعرفة، وباستخدام الحواس يمكن إدراك وتعلم وتمييز هذه المعارف.

المطلب الثالث: مفهوم "مصادر المعرفة" عند المفكرين المسلمين، وفي المذاهب الفلسفية الأخرى

أولاً: مفهوم (مصادر المعرفة) عند المفكرين المسلمين

إنَّه وباستعراض طرح عدد من الباحثين في "نظرية المعرفة ومصادرها" لم تعثر الباحثة على من حاول تحديد مفهوم "مصادر المعرفة"، وكان الطرح العام في العديد من كتاباتهم ينصب مباشرة على تحديد ما هي "مصادر المعرفة"؛ باستثناء دراسة الدغشي[28] التي حاول فيها طرح تصور بعض الباحثين للمصطلح وأشار إلى أن هناك خلط بين المصادر والطرائق، وخروجا من الإلباس الذي قد يؤدي إلى عدم التحديد الواضح للمراد بمصطلحي المصادر والطرائق في دراسته عرَّف المصادر فقال هي:

"الأصول التي يستقي منها الباحث المسلم معرفته، والأدوات التي يتعامل بها مع الظَّواهر المختلفة فيما يخص الوحي والحس والعقل". غير أنَّ الدغشي هو نفسه لم يضبط المصطلح؛ حيثُ جمع المصادر مع الطُّرق، فقد جعل الأدوات من المصادر والمصادر طرقًا.

اما الكردي والأسمر [29] فإنهما يُحيلان المعرفة إلى أصلها ومنبعها البعيد وهو خالقها "الله" تعالى.

أما بليل [30] فقد أطال في بيان مصطلح "مصدر" ليميز بين "الأصل"، و"المصدر"، والطرائق" و"الوسائل"، وبيَّن أن "مصدر المعرفة" هو الحاوي لحقيقة الأشياء أو ماهيتها أو مثالها؛ أي هو الأشياء عينها.

أما مفهوم المعرفة فقد ذكر التهانوي أن لها عند القدماء عدة معان: منها إدراك الشيء بإحدى الحواس، ومنها العلم مطلقاً تصورا كان أو تصديقا، ومنها إدراك البسيط سواء كان تصوراً للماهية، أو تصديقاً بأحوالها. [31]. ويطلق لفظ المعرفة عند المحدثين على عدة معان: منها "الفعل العقلي الذي يتم به حصول صورة الشي في الذهن". ومنها "الفعل العقلي الذي يتم به النفوذ إلى جوهر الموضوع، بحيث تكون المعرفة محيطة موضوعاً بكل ما هو موجود للشيء في الواقع". [32]

وعرَّفها الأسمر بأنها "مجموعة مركبة من المعتقدات، والتصورات والمدركات المادية والمعنوية والمفاهيم والأحكام، والأفكار والتفسيرات، والمكونات الفكرية المتنوعة التي تكونت لدى الانسان نتيجة لفهمه لذاته، والكون المحيط به، وسننه وظواهره والأشياء والحوادث والموجودات المتصلة به، التي تترابط مع بعضها البعض مكونة ذخيرة لدى الانسان تسمى المعرفة". [33]

ويلخصها بليل بأنها " المدركات المحصلة عن طريق الخبر أوالعقل أو الحس، وخلافها الإنكار والكفر والجحود والكذب". (34)

وخلاصة ما سبق يتبين لنا أنه لم يتم ضبط المصطلح المركب "مصدر المعرفة" في طرح نظرية المعرفة ومصادرها في النظرية التربوية الإسلامية لدى الباحثين المسلمين فيها، وكانت استخدامات مصطلح "مصادر المعرفة" مخلوطة باستخدامات مصطلح "طرائق الحصول على المعرفة" وبمصطلح "أدوات المعرفة"، وكان المصطلح الدلالي لهذه المفاهيم الثلاث يختلف من باحث لآخر وبعضهم لم يميز بين هذه المصطلحات في الاستعمال من حيث دلالتها أو من حيث المضمون فأغلب الباحثين كما سبق يتفقون على أن مصادر المعرفة ثلاثة: الوحي والعقل والحس.

ثانياً: مفهوم (مصادر المعرفة) في المذاهب الفلسفية الأخرى

لقد انقسم الفلاسفة الأوروبيون في أصل المعرفة الإنسانية ومصدرها إلى ثلاثة مذاهب هي: المذهب التجريبي، والمذهب العقلي، والمذهب النقدي، والمذهب الحدسي، على خلاف بين هذه المذاهب في أصل المعرفة ومصدرها، ولم تعثر الباحثة على من حدد مفهوم "مصدر المعرفة" بحيث يجمع كل ماتحته ويمنع دخول غيره إليه، وأن أغلب أطروحات الباحثين في المعرفة ومصادرها كانت تحدد ما إذا كانت المعرفة بطريق الحس، أم العقل، أم الحدس، أم بطريق التجربة؟ ولم يتم تحديد ما المقصود بمفهوم "مصدر المعرفة" لدى الباحثين في الفلسفات الغربية وقد اعتمد كل مذهب طريقاً للمعرفة مختلف عن الآخر كما سيرد إيضاحها في المبحث اللاحق.

المبحث الثاني

مصادر المعرفة عند المفكرين المسلمين، والغربيين

المطلب الأول: مصادر المعرفة عند المفكرين المسلمين

لقد اختلف الباحثون في مصادر المعرفة الإنسانية فبعضهم يجعل مصدرها الله تعالى وبعضهم يجعل العقل والحس والوحي مصادر رئيسة والحدس والإلهام والرؤيا الصادقة مصادر تابعة أو ثانوية على النحو الآتي:

- أحمد رجب الأسمر: يرى أن مصدر المعرفة من حيث المبدأ ومنشأها ومرجعها هو الله سبحانه وتعالى؛ ولما كان مصدر المعرفة الوحيد هو الله تعالى، فقد أتاح اكتساب المعرفة من قبل الإنسان بعدة وسائل فمن المعرفة ما يصل إليه من الله مباشرة عن طريق كلام الله تعالى في كتبه المنزلة على رسله، ومنها ما يحصل عليه هو بما هيأه الله به من وسائل كالحواس والعقل وما يتميز به من قدرات فكرية وإدراكية، وعلى ذلك فإن "وسائل المعرفة ثلاث أساسية هي: الوحي، والحس، والعقل، وهناك وسائل مكملة منها الحدس والإلهام ولكنها متاحة لبعض الناس فقط، وليس لعموم الناس".[35]

نلحظ أن الأسمر يحيل مبدأ المعرفة من حيث المصدر إلى الله تعالى ويجعل لها وسائل من وحي وعقل وحس.

- عبد الرحمن بن زيد الزُّنَيْدِيَّ: يرى أن أهم مصادر المعرفة التي ينالها الإنسان: الوحي الذي يكشف الحقائق للإنسان، والعقل الذي يستطيع كشف أنواع الحقائق، والحس الذي يهيء للعقل مادة المعرفة عن طريق المدركات الحسية [36].
- راجح الكردي: يرى أن أصل المعرفة رباني، (علم الإنسان ما لم يعلم)، واستعمالنا لأدوات المعرفة ووسائلها من عقل وحس إنما هو بأقدار الله عز وجل، وتمكينه

لهذه الوسائل أن تؤدي دورها المعرفي. ومصدر هذه المعرفة أو منبعها هو الله سبحانه، وذكر القرآن طرق المعرفة ووسائلها: من حواس وعقل أو قلب وأضاف طريقا فريدا ليس في طرق البشر، وهو طريق الوحي والإلهام.[37]

- جواد أمين: يعرِّف الأداة اصطلاحا: هي الواسطة أو الوسيلة التي يستعان بها على أداء عمل من الأعمال. أو هي الآلة التي تقيم الصنعة أو أي تخصص من التخصصات فأداة الحرب سلاحها. وأدوات المعرفة لديه: الأداة الحسية، الأداة العقلية (العقل)، الأداة القلب، والوحي [38].
- ماجد عرسان الكيلاني: يرى أن أدوات المعرفة – في التربية الإسلامية – ثلاث هي: الوحي والعقل والحس. فالوحي هو أداة المعرفة في ميدانها الأول – ميدان الغيب –. أما العقل والحس فهما أداتا المعرفة في ميدانها الثاني – ميدان الآفاق والأنفس–.[39]
- أحمد محمد الدغشي: جمع المصادر مع الطُّرق، وعرفها فقال هي: "الأصول التي يستقي منها الباحث المسلم معرفته، والأدوات التي يتعامل بها مع الظَّواهر المختلفة فيما يخص الوحي والحس والعقل فحسب أما الحدس والإلهام والرؤيا الصادقة فمصادر ثانوية لا تتجاوز ذلك إلى الطرائق"[40] فهو جعل الأدوات من المصادر، والمصادر طرقًا، بل حال عرضه لتصنيف المصادر كان الأوَّل: مصادر، والثاني: طرق تحصيل المعرفة؛ أي: أدواتها، والثالث: كيفية اكتساب المعرفة؛ أي: مراتب وأصول العلم للنفس، مع تبنّيه للتصنيف الثلاثي المعتمد على الحس والعقل والخبر المعصوم أو الوحي، دون إقصاء لما عدا ذلك. فالحدس والإلهام والرؤيا الصادقة مصادر ثانوية. [41]

- دراسة عماد عبد الله الشريفين وآخرون، ترى أن مصادر المعرفة في القرآن الكريم تتمثل بالأمور الآتية: الحواس، والعقل، والوحي، والإلهام، والرؤية الصادقة.[42]
- طه جابر العلواني: يرى أن الله سبحانه وتعالى جعل للمعرفة عندنا مصدرين لاثالث لهما: المصدر الأول هو الوجود، هذا الكتاب المفتوح، الكون كله بما فيه من حياة. والمصدر الثاني: هو الوحي والوحي هو كتاب وسنة. [43]
- عبد الكريم بليل: مصادر المعرفة في النظام المعرفي القرآني مصدران متكاملان متآزران هما: الوحي، والكون). [44]

مما سبق نلحظ أن هناك خلطاً بين مفهوم "المصدر"، و"الأداة"، و"الطريقة"، عند غالبية المفكرين المسلمين، وعلى الرغم من اختلافهم في المسميات إلآ أن معنى "مصادر المعرفة" لديهم ثلاثة (الوحي، العقل، والحس) وهي مصادر رئيسة لاكتساب المعارف، وبعضهم جعل الإلهام والحدس، والرؤيا الصادقة مصادر ثانوية للمعرفة.

أما العلواني وبليل فقد ذكرا أن المعرفة لاتستمد إلآ من مصدرين رئيسين هما (الوحي، والكون) وهذا ما تتبناه الباحثة ويتضح ذلك في المطلب الآتي.

المطلب الثاني: مصادر المعرفة عند المفكرين الغربيين

تعددت أقوال واجتهادات الفلاسفة والعلماء من كافة المدارس الفكرية في مسألة تحديد وتعيين مصادر المعرفة ومن أين نأتي بالمعرفة التي تحصل لدينا حول شيء أو أمر ما، وفي هذا المطلب سوف نشرع في شرح مبسط عن مصادر المعرفة لكل من المذاهب الفلسفية وعند الفلاسفة الغربيين بشكل مختصر، ويمكننا أن نميز بين ثلاثة مذاهب أساسية:

- **المذهب العقلي:** وهو المذهب الذي يفسر المعرفة اعتمادا على العقل وحده دون اعتماد على الحواس، أو استناد إلى تجربة، ويمثل هذا المذهب في الفلسفة الحديثة

ديكارت، وسبينوزا، وليبنتز. أما ديكارت، فلم يتوقف في فلسفته عند السؤال عن طبيعة العالم، وإنما تجاوز ذلك إلى محاولة الإجابة عن كيفية معرفة الإنسان لطبيعة العالم، بعد أن جعل السؤال المعرفي: كيف أعرف؟ محوراً لفلسفته. وأما سبينوزا، فيمكن التوصل إلى المعرفة عنده بتصحيح الفهم، وتطهير العقل من الأفكار الغامضة والإدراكات المبهمة. وأما ليبنتز، فقد بين المذهب العقلي بطريقة منطقية، ومضى معه إلى نتائجه المحتومة. (45)

والمذهب العقلي يرى أن هناك مستويين من التصور؛ الأول: قائم على الحس، والثاني: قائم على فطرة الإنسان حيث إن هناك تصورات ومفاهيم مسبقة داخل الإنسان ولد بها يفسر من خلالها ما لا يستطيع التوصل إليه من جانب الحس، فالحس على أساس هذه النظرية مصدر فهم للتصورات والأفكار البسيطة، ولكنه ليس هو السبب الوحيد، بل هناك الفطرة التي تبعث في الذهن طائفة من التصورات.(46)

يتضح مما سبق:

أن العقلانية مذهب فكري فلسفي يزعم أن الاستدلال العقلي هو الطريق الوحيد للوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود، بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية، وأنه لا مجال للإيمان بالمعجزات أو خوارق العادات، كما أن العقائد الدينية ينبغي أن تختبر بمعيار عقلي.

- **المذهب التجريبي:** يؤمن بان التجربة والخبرة الحسية هي الأساس العام والمصدر الرئيس لكل ألوان المعرفة وينكرهذا المذهب وجود أي معرفة قبلية لدى الإنسان بصورة مستقلة عن الحس والتجربة ويمثل هذا المذاهب في الفلسفة الحديثة جون لوك، وباركلى، وهيوم وكارل ماركس.(47)

من رواد هذا المذهب (بيكون) الذي اعتبر آراء أرسطو غير مفيدة واعتبر الطبيعة تؤثرعلى الفكر البشري بشعاع مستقيم ويرى أن الحس والتجربة أساس المعرفة، تاثر به (جون لوك) الذي اعتبر نفس الإنسان كورقة بيضاء خالية من كل معنى ذهني وأما الصورالتي ترسم عليها فيما بعد فهي ثمرة التجربة واعتبرالتصورات البسيطة مصدرها الاحساس والتأمل فيما يتعلق بالنفس والتفكيروالإرادة وقال: (الأفكارالبسيطة لا يمكن أن يخلقها العقل ولا يدمرها لكن ممكن أن يكررها. أما (دافيد هيوم) فأنكرمبدأ العليه وأنها لا يمكن أن تدرك بالحس وبين مثلاً ان كرة البليارد تتحرك فتصادف كرة اخرى فتحرك هذه وليس في حركة الأولى ما يظهر على ضرورة تحرك الثانية،[48] والمذهب الحسي، هو القول بأن جميع معارفنا ناشئة عن الاحساسات، وأن المعقول هو المحسوس ويُعدُ هذا المذهب صورة من صور المذهب التجريبي.[49]

يتضح مما سبق: أن المذهب التجريبي يعتبر أن الحواس وحدها هي أبواب المعرفة، وأن التجربة هي المصدر النهائي لكل معرفة، ويرى أن الحس الإنساني هو المصدر الأول بل والوحيد للمعرفة، كأن ترى بعينك شيئا أو تسمع بأذنك أو تلمس بيدك، بمعنى آخر أن تستخدم جوارحك الحسية في معرفة الأشياء والعالم من حولك، وأنَّ ذلك يتأتى بالتجربة التي هي أيضا تعتمد على الحس في الوصول للمعرفة والإدراك وتصور الأشياء ثم تصديقها.

- **المذهب الحدسي:** والذي يمثله هنري برجسون، فيرى أن مصدر المعرفة ليس هو العقل الذي يستنبط ويستدل، وليست هي الحواس التي تدرك وتحس، وإنما هو الحدس الذي يقود إلى جوهر الحقيقة، ويكشف عن الواقع بغير وساطة من عقل أو حواس، معتبراً أن الحدس عند الإنسان يشبه الغريزة عند الحيوان، وهو أمر لا يمكن التعبير عنه بالكلمات بل يجب تذوقه ومعايشته واختباره من قبل كل شخص على حدة حتى

يكتسب به المعرفة. وإذا كان الحيوان يمتلك غريزة للتوصل إلى معرفته الخاصة فإن الإنسان يمتلك عقلا بالمقابل، كما يمتلك أيضا وجدانا أو بصيرة يتوصل بها إلى الحدس الذي هو أسمى أنواع المعرفة،[50] وبما أنه فيلسوف غربي فلم يكن ميالا إلى الإيمان بالإله المجرَّد بالرغم من أفكاره التي تبدو صوفية للوهلة الأولى، بل جعل الحدس معرفة منبثقة من داخل الإنسان وليست مصدرا للمعرفة التي تهبط عليه من الإله.

إذن الحدس هو معرفة مباشرة تضع العارف (الإنسان) إزاء موضوعه (أي موضوع المعرفة) أيًا كان هذا الموضوع، كما يمكن القول إن الحدس هو رؤية داخلية تربطنا بالعالَم بفعل واحد والحدس فى معناه الفلسفى يختلف تمامًا عن الحدس فى لغة الحياة اليومية عندما يُستخدم ليكون مرادفًا للتخمين أو التكهن، والحدس فلسفيًا يعنى الانتقال من مقدمة أو مقدمات انتقالًا مباشرًا بلا واسطة، وهناك أنواع كثيرة من الحدس، تتفق جميعها فى أنه ضرب من المعرفة أو الإدراك المباشر.[51]

يتضح مما سبق:

إن وسيلة المعرفة عند أصحاب المذهب الحدسى هى الحدس، أو البصيرة، أو القلب، أو العيان المباشر، فكل هذه الألفاظ هى أسماء لوسيلة المعرفة حين يمتزج الشخص العارف بالشىء المعروف، حين يمتزج الشخص المدرِك بالشىء المدرَك، بحيث لا تكون هناك تفرقة بين الذات المدرِكة من جهة والموضوع المدرَك من جهة أخرى، فالحدس، إذن هو نوع من المعرفة المباشرة التى لا تحتاج إلى برهان أو دليل، ولا تحتاج بالتالى إلى الطرق التى تُسْتَخدم فى إقامة البراهين، كالقياس بأشكاله المختلفة والاستدلالات والاستنباط... إلخ، وبهذا فالاتجاه الحدسي نفى دور العقل والحواس وجعل الطريق لتلقي المعرفة هو الحدس.

مما سبق يتضح أن مصادر المعرفة في الفلسفات الغربية ثلاثة مصادر هي: العقل أوالحس والتجربة أوالحدس، ولا وجود أو اعتراف لديهم بالغيب أو العالم غير محسوس ولا يقع تحت التجربة لديهم، وكل مالا تدركة حواسهم غير موجود حسب المذهب الحسي، أو أن كل ما هو موجود هو عقلي حسب المذهب العقلي. أما المفكرون المسلمون ردوا المعرفة إلى الوحي، والعقل، والحس، وهي لديهم منابع رئيسة تُستمد المعرفة منها؛ أما الحدس والإلهام والرؤيا الصادقة فهي منابع ثانوية وخاصة للمعرفة، أما المفكرون الغربيون فقد ردوا المعارف إلى الحس والتجربة، أو العقل، أو الحدس.

المبحث الثالث

مصادر المعرفة" في النظرية التربوية الإسلامية

لقد اختلف الباحثون في المدرستين الإسلامية والغربية في تسمية وحقيقة تلك الأصول التي تنشأ عنها المعرفة، فهم يستخدمون مصطلحات يعتقدون أنها مترادفة للدلالة على منبع المعرفة وأصلها ومصدرها، مثل "مصادر المعرفة" و"أدوات المعرفة" وطرائق المعرفة"، ويتفق معظم الباحثين في نظرية المعرفة في التربية الإسلامية على أن مصادر المعرفة تأتي من (الوحي والحس والعقل)، والسؤال هل العقل والحواس مصادر حقيقية للمعارف يعتمد عليها الباحثون في نظرية المعرفة في التربية الإسلامية؟ وهل يَنتج عن الحواس معرفة؟ وهل يُنتج العقل معارف جديدة هو مصدرها الأول؟ وهل المصادر هي الأدوات والطرائق؟ هذا ما سوف يتم توضيحه في هذا المطلب، بالإضافة لتوضيح مصادر المعرفة وطرائقها وأدواتها المعتمدة في نظرية المعرفة الإنسانية في نظرية التربية الإسلامية على النحو الآتي:

المطلب الأول: حقيقة مصادر المعرفة:

لا خلاف أن أصل المعارف ومنبعها، ومنشؤها الأول – في النظرية التربوية الإسلامية – كلها يعود إلى الله سبحانه وتعالى، فهو الذي خَلَقَ وعلَّم، لقوله تعالى في سورة العلق ﴿**الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ ﴿العلق:5﴾، ولكن الإشكال الذي حصل في فكر الباحثين في مصادر المعرفة هو: هل المصدر هو المُحَصِّل للمعرفة أم عمليّة التحصيل، أم المُحَصَّل منه؟ أي هل هو النشاط الإدراكي؟ أم الإدراك؟ أم الموضوع المدرك؟ أم المُدْرِك نفسه؟

بناء على ما تم استعراضه في المبحث السابق من آراء الباحثين في مصادر المعرفة والذي بيَّن أن العقل والحواس منابع ومصادر يتم تحصيل المعرفة منها؛ يأتي السؤال: هل العقل ينتج معرفة جديدة؟ أم أنه يقوم بعمليات إدراكية في تحصيل وفهم وتحليل واستثمار المعارف الموجودة أصلاً في الكون كما ذكر بعضهم أن خالقها الله وهو تعالى أصل نشأتها، وهي موجودة سواءً أدركها العارف أم لم يدركها؟ وهل الجوارح والحواس تحوي معارف؟ ومن أين تأتي هذه المعارف إلى هذه الحواس؟

ولابد من دراسة هذه المفاهيم في اللغة والاصطلاح لتحديد ما إذا كانت مصادر تنبثق عنها المعرفة وتتولد وتنشأ منها أم أن المعرفة لها وجود مستقل عن العقل والحس؟ وبيان ذلك على النحو الآتي:

الوحي:

أ- **المعنى اللغوي:** الوَحْيُ الإشارة والكتابة والرِّسالة والإلْهام والكلام الخَفِيُّ وكلُّ ما أَلقيته إِلى غيرك، [52] قال الزمخشري: أوحى إليه أوْمَى بمعنّى، ووحيت إليه وأوحيتُ، إذا كلمته بما تخفيه عن غيره وأوحى الله إلى أنبيائه ووَحى وحيًا: كتب. [53]

وأصله: إعلامٌ في خفاء، وله صورٌ عِدَّة، وهي كلُّها تتمُّ في خفاء، فهو الإشارة السريعة ولتضمُّنه السُّرعة قيل: أمرٌ وحي للكلام على سبيل الرمز. (54)

والوحي بمعناه اللغوي يتناول معاني عدة:

1. الإرسال: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ**﴾ [النساء: 163]، ﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ**﴾ [الأنعام: 19].
2. الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء: كإيحاء زكريا فيما حكاه القرآن عنه: ﴿**فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾ [مريم: 11].
3. الإلهام الفطري للإنسان: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى**﴾ [القصص: 7].
4. الإلهام الغريزي للحيوان: الذي يجعلها تحسُّ ما ينفعها وما يضرها كالوحي إلى النحل ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**﴾ [النحل: 68].
5. الأمر: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا *بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا**﴾ [الزلزلة: 4- 5].
6. القول: والكلام المباشر: ﴿**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**﴾ [النجم: 10].
7. الإعلام: بالإلقاء في الروع وهو خاص بالأنبياء: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا**﴾ [الشورى:51].
8. الوسوسة: ﴿**يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**﴾ [الأنعام: 112].

فالوحي بمعناه اللغوي يدل على إلقاء علم في إخفاء، وكل مايُلقى إلى الغير هو وحي، ويرد على أنواع ويرد في حق الأنبياء وسائر الناس. فالوحي من معانيه العامة أنه الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يُوجَّه إليه، بحيث يخفى عن غيره (55).

ب- المعنى الاصطلاحي: الوحي معناه: إعلام الله – تعالى – مَن يصطفيه مِن عباده ما أراد من الهداية والعلم، ولكن بطريقة خفيَّة سريعة(56). وعرفه محمد عبده في رسالة

التوحيد بأنه: "عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قِبَلِ الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول – ماهو بواسطة – بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت. (57)

وباستقراء كتاب الله نجد استعمال لفظ الوحي دلالة على الإعلام الخفي السريع، ويكون على كيفيات وأنواعٍ شتى ذُكرت مجتمعة في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ ﴿ الشورى:51﴾، فمنه ما يكون مكالمة بين العبد وربه؛ كما كلَّم الله موسى تكليمًا، ومنه ما يكون إلهامًا يقذفه الله في قلب مُصطَفاه على وجهٍ من العلم الضروري لا يستطيع له دفعًا ولا يجد فيه شكًّا ومنه ما يكون منامًا صادقًا يجيء في تحقُّقه ووقوعِه كما يجيء فَلَقُ الصُّبح في تبلُّجه وسطوعه ومنه ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل –عليه السلام – وهو من أشهر أنواع الوحي وأكثرها ووحي القرآن كله من هذا القبيل، وهو المصطَلح عليه بالوحي الجلي(58).

"فما هو إلا صلة بين الرب – سبحانه وتعالى – وبين مَن يصطفيه من خلقه لتحمُّل أمانة التبليغ عن الخالق إلى الخلق، وهذه الصلة أو تلك العلاقة يصحبها علمٌ ضروري بمصدرها ويصاحبها ظواهرُ نفسية وبدنية للمصطفى، ويتبعها آثارٌ توجيهية، يعلنها المصطفى للناس حوله"(59).

إذن: الوحي لا ينزل إلا على نبيٍّ، فالنبوة هي الطريق إلى معرفة الوحي الصادر عن الله تعالى وهي طريقٌ خارجي بأن يصطفي الله مَنْ يشاء من عباده نبيًّا ينزل إليه وحيه ويبلغه كلامه ليكون واسطة بينه وبين خلقه في التبليغ، وهي ليست حاصلة لكل آحاد الناس، بل هي ربانية واختيار إلهي (60.)

وهذا الوحي الإلهي بهذا المعنى هو أحد مصادر المعرفة التي يأخذ الإنسان منها معرفة ما يريده الله ويرضاه وما لايرضاه، وطريقة عبادته، فهو في أمسِّ الحاجة للوحي؛

حتى يتصور عقيدته نحو خالقه، ويعي معنى العبادة وكيفياتها وشروطها، ويستوعب التشريعات من أوامر ونواهٍ فليس التقرُّب من الله – تعالى – كما يريد العبد، بل كما يريد الرَّبُّ، ومن هنا فإنه لم يشأ أن يترك أفضل مخلوقاته من دون رعاية أو لطف. أعطاه العقل لكي يدبر أمره ويبحث عن الحقائق التي تتصل بكشف قوانين العالم المادي (عالم الشهادة) وأرسل إليه الأنبياء والمرسلين ليصلوه بعالم ما وراء المادة من الأمور الغيبية، التي لايدرك العقل تفاصيلها لحركته في مجاله المحدود من التأمل والملاحظة والتجربة.(61)

الحِسُّ: الإدْراك بإحدى الحواسّ الخمْس، والحِسُّ فعل تؤدّيه إحْدى الحواسّ، والحِسُّ الصّوت الخفيّ. والحِسُّ ما تسْمعه مما يمرُّ قريباً منك ولا تراه، وهو عامٌّ في الأَشياء كلِّها[62] والحَواسُّ: السَّمْعُ والبَصَرُ والشَّمُّ والذَّوْقُ واللمْسُ، جمعُ حاسَّةٍ. وأَحْسَسْتُ الشيءَ: وجَدْتُ حِسَّهُ، والتَّحَسُّسُ: الاسْتِماعُ لحديثِ القومِ، وطَلَبُ خَبرِهِم في الخيرِ (63). وقد ورد لفظ الحس في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه هي: القتل: و﴿**لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ**﴾ ﴿آل عمران:152﴾. والإدراك بالحاسة: ﴿**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ**﴾ ﴿آل عمران:52﴾. والبحث: ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ**﴾ ﴿يوسف:87﴾. كما ورد في القرآن الكريم ذكر الحواس اللمس واليد والمس، والأذن والعين. ومن مفاهيم الحس الواردة في القرآن: الشعور، الإيجاس، الإيناس، السمع، الانصات، الصمم البصر الرؤية والنظر والمشاهدة، والعمى(64).

الحس اصطلاحاً: معابر وطرق لنقل المعلومات إلى العقل أو النفس من أجل البدء بعمليات الإدراك والمعرفة. (65)

والحس عند جمهور الفلاسفة هو الإدراك بإحدى الحواس، أو الفعل الذي تؤديه احدى الحواس أو الوظيفة النفسية الفيزيولوجية التي تدرك أنواعاً مختلفة من الاحساس، ويُطلق الحس عند المحدثين على الإدراك الحدسي المباشر، كالإدراك بالحواس الظاهرة أو الشعور النفسي.[66] والاحساس إنْ كان للحسّ الظاهر فهو المشاهدات، وإنْ كان للحسّ الباطن فهو الوجدانيات وهي الحسّ المشترك والخيال والواهمة والحافظة والمتخيلة[67]. فالحس هو أول مراتب العلم مرتبط بالحواس المعروفة، وهي آليات الإدراك الأولي، والحواس هي أبواب المعرفة الأولى وهي نواقل للمعلومات، وذكر القرآن الكريم الأذن والعين غالبا كأدوات للمعرفة بالحواس، فالأذن هي عضو السمع في الإنسان، أما حاسة السمع فهي الإحساس الذي به إدراك الأصوات فهو قوة الأذن، والسماع هو سماع القلب والاستجابة، وإلا فمجرد سماع الأذن يشترك فيه البر والفاجر. والعين هي الباصرة، وتطلق على الحدقة، وما يهمنا هو العمليات المعرفية وهي الرؤية والإبصار والمشاهدة لتحصيل المعرفة. [68]

مما سبق يتبين أن الحواس نواقل للمعرفة من العالم الخارجي إلى مواطن الإدراك بدليل قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ ﴿النحل: 78﴾، فنص الآية صريح الدلالة على أن الإنسان يولد خالٍ من المعارف ثم وباستخدام الحواس الأذن موضع السمع، والعين موضع النظر والقلب موضع العقل يبدأ الإنسان بتكوين المعارف مما يسمع ويُشاهد ويعقلها بقلبه بدليل قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا**﴾ ﴿الحج:46﴾، فنص الآية صريح الدلالة على أن العقل يكون في القلب. فيتبين أنه لو فُقد الحس أولاً، لما كان عُلِمَ شيء بالعقل، فالحواس ليست مصدراً للعلم "ولم يقل أحد من العلماء بها، إلاَّ في حالة عدم ضبط المصطلح، فالكل على أنَّها نواقل متأثرة

لا مؤثرة".[69] وبذلك يظهر أن الحواس لاتحوي معرفة فهي عبارة عن ناقل للمعرفة من مصدرها الأصلي إلى مواطن الإدراك في النفس المدركة.

العقل: عقل: ع ق ل: العين والقاف واللام أصل واحد، والعَقْلُ الحِجر والنُّهى.[70] وقد سمي بذلك تشبيها بعقل الناقة، لأنه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل كما يمنع العقال الناقة من الشرود.[71] والعقل القلب والقلب والعقل وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي يحبسه وقيل: العقل هو التمييز الذي يتميز به الإنسان عن سائر الحيوان.[72]، أو لأنه يعقل به حقائق الأشياء.[73] والعَقْلُ :ما يقابل الغريزة التي لا اختيار لها، والعَقْلُ ما يكون به التفكيرُ والاستدلالُ وتركيبُ التصوُّرات والتصديقات. والعَقْلُ ما به يتميز الحسَنُ من القبيح، والخيرُ من الشر، والحق من الباطل.[74] عَقْلُ الإِنْسَانِ: قُوَّةُ الإِدْرَاكِ وَالتَّمْيِيزِ وَالتَّفْكِيرِ عِنْدَهُ[75]. والعقل: مركزُ الفكر والحكم والفهم والمخيّلة، وبه يكون التفكير والاستدلال عن غير طريق الحواسّ[76].

والعَقْلُ: العِلْمُ، والحَقُّ أنه نورٌ روحانِيٌّ، به تُدْرِكُ النفسُ العلومَ الضَّرورِيَّةَ والنَّظَرِيَّةَ، وعَقَلَ الشيءَ: فَهِمَه، وعقل الأمر: دبَّره، وفهمه وأدركه على حقيقته [77]. وفي التعريفات للجرجاني العقل: نور في القلب يعرف الحق والباطل، وما يعقل به حقائق الأشياء، وقيل محله القلب. [78]

يقول الغزالي: العقل اسم مشترك تطلقه الجماهير والفلاسفة والمتكلمون على وجوه مختلفة ولمعان مختلفة والمشترك لايكون له حد جامع، والجمهور يطلق العقل على ثلاثة أوجه: الأول يرجع إلى وقار الإنسان وهيئته (هيئة محمودة للإنسان في كلامه واختياره وحركاته وسكناته) والثاني يراد به ما يكتسبه الانسان بالتجارب من الأحكام الكلية (معان مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستنبط بها الأغراض والمصالح)، والثالث

يراد به صحة الفطرة الأولى في الانسان (قوة تدرك صفات الأشياء من حسنها، وقبحها، وكمالها ونقصانها).[79]

أما الفلاسفة فانهم يطلقون العقل على عدة معان منها:

- العقل جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها.
- العقل قوة في النفس التي بها يحصل تصور المعاني، وتأليف القضايا والأقيسة.
- العقل قوة الإصابة في الحكم، أي تمييز الحق من الباطل والخير من الشر، والحسن من القبيح.
- العقل قوة طبيعية للنفس متهيئة لتحصيل المعرفة العلمية، وهذه المعرفة مختلفة عن المعرفة الدينية المستندة إلى الوحي والايمان.
- العقل: مجموع المبادئ القبلية المنظمة للمعرفة كمبدأ عدم التناقض، ومبدأ السببية ومبدأ الغائية.
- الملكة التي يحصل بها للنفس علم مباشر بالحقائق المطلقة.
- العقل: مجموع الوظائف النفسية المتعلقة بتحصيل المعرفة كالادراك، والتداعي والذاكرة، والتخيل، والحكم، والاستدلال. [80]

العقل في القرآن الكريم: ورد لفظ العقل بصيغة تسعاً وأربعين مرة، واسم العقل لم يرد قط في القرآن الكريم وإنما يوجد ما تصرّف منه نحو: "عقلوه" و" يعقلون"، فكل الصيغ فعلية والعقل صفة أكثر منه مصدراً في القرآن، وقد استخدم القرآن الكريم عبارات ومفاهيم العقل مثل: الحِجْر النُهى، القلْب، اللب.[81]

وقد ورد العقل كوظيفة للقلب في مواضع عديدة في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ﴿الحج: 46﴾، ففي الآية دلالة واضحة على "أن محل العقل: في القلب، ومحل السمع،

في الأذن، فما يزعمه الفلاسفة من أن محل العقل الدماغ باطل، وكذلك قول من زعم أن العقل لا مركز له أصلاً في الإنسان لأنه زماني فقط لا مكاني فهو في غاية السقوط والبطلان كما ترى".[82]

يقول الإمام الرازي: "في الآية دلالة على أن العقل هو العلم وعلى أن محله هو القلب". [83] والعقل: هو ضبط ما وصل إلى القلب وإمساكُه حتى لا يتفلت منه". [84] ولهذا قد يعبر بالقلب عن العقل. والقلب محل العقل عند الأكثرين، وبهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– أن العقل في القلب مثل البصر في العين.[85] ويرى الغزالي أن العقل مشترك لمعان مختلفة، أحدها: أنه قد يُطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور، فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب، والثاني: أنه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة الربانية."[86] فنَسبت الآية صراحة وظيفة العقل إلى القلبِ، وبذلك يتأكد لدينا أنَّ جميع العمليات العقلية، ابتداءً من التفكير والفهم، والإدراك، وانتهاءً بالتركيب والاستدلال والتمييز، جميعها عمليات معرفية عقلية يقوم بها القلب.

نستنتج مما سبق أن العقل هو إدراك الأشياء على حقيقتها، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل، والعقل: ما يكون به التفكير والاستدلال وتركيب التصورات والتصديقات، وبه يتميز الحسن من القبيح، والخير من الشر، والحق من الباطل، والعقل مصطلح يستعمل عادة، لوصف الوظائف الإدراكية وخاصة تلك الوظائف التي يقوم بها الإنسان مثل: التفكير، الجدل، الذاكرة الذكاء، التحليل وحتى الانفعال العاطفي يعدها البعض ضمن وظائف العقل، والعقل في القلب. وبذلك يتضح أن العقل لاينتج معرفة جديدة غير موجودة في الوجود، بل يعمل على فهم وتحليل وتركيب المعارف الواردة إليه من الوجود الذي حوله، وبذلك يُخزن المعارف الواردة بعد

المعالَجة وتصبح هذه المعارف معارف مخزنة يتم استخدامها في بناء معارف جديدة وتوظيفها في المواقف المختلفة، وبذلك تصبح المعارف المخزنة مسبقا مصدر ثانوياً للمعرفة وليس العقل بهذه المفهوم مصدر أساس للمعرفة في نظرية المعرفة في التربية الإسلامية.

المطلب الثاني: الرأي الراجح في مصادر المعرفة في النظرية الإسلامية

حصر علماء المسلمين مصادر المعرفة في الوحي والعقل والحس ولكن العقل في حقيقته عبارة عن عمليات إدراكية فعَقْلُ الإِنْسَانِ: قُوَّةُ الإِدْرَاكِ وَالتَّمْيِيزِ وَالتَّفْكِيرِ عِنْدَهُ، وبه يكون التفكير والاستدلال فكيف له أن يكون مصدراً أساسياً للمعرفة وهو ذو قدرات محدودة يعجز عن فهم حقيقة الكثير من المعارف مثل حقيقة وجود الله تعالى وذاته، فالعقل بهذا المعنى لايمكن أن يكون مصدراً ومنبعاً وأصلاً لهذه المعارف، ولكنة يستطيع إدراك وفهم وعقل المعارف الواردة إليه عبر أدواتها وهي الحواس، فالعقل والحواس هما وسائل إدراك للكون المحسوس وعلى هذا تغدو الحواس أدوات نقل المعرفة، والعمليات المعرفية العقلية هي الطريقة التي تحصل بها المعرفة.

وبناء عليه يتبين مصدر المعرفة وأصلها ومن أين جاءت، فالمعرفة موجودة خارج الذات الإنسانية وهذه الذات مزودة بأدوات الحس تنقل عبرها معارف خارجة عنها ومستقلة في الوجود سواء أدركتها هذه الذات الإنسانية أم لم تدركها، فإن أدركتها هذه الذات تكون قد أجرت عمليات عقلية متنوعة حتى تحصل لها هذا الإدراك والعقل، وعلى هذا يغدو الكون هو مصدر المعرفة الثاني بالإضافة إلى الوحي. وهذا ما تنبه إليه المعاصرون حيث اتفقت رؤيتهم مع الرؤية القرآنية وذلك بجعلهم الوحي والكون مصدرين متناصرين للمعرفة. وبذلك يمكننا القول أنّ مصادر المعرفة في نظرية المعرفة في التربية الإسلامية تنحصر في مصدرين هما: (الوحي والكون) فالوحي يمدنا بالمعارف اليقينية

حول ما وراء هذا الوجود والمعلومات التي يقدَّمها الوحي صادقة ويقينية، لأن المصادر الأخرى لا يمكن أن تقدَّم إجابات واضحة ودقيقة للتساؤلات المطروحة.

أما الكون بكل ما فيه من ظواهر فهو مصدر أساس من مصادر المعرفة الإنسانية، والدَّليل على ذلك هو تلك الآيات الكثيرة في القرآن والتي تحث على التأمل والتدبر والتفكُّر في خلق السماوات والأرض وما فيهما من آيات دالة على عظمة خالقهما وانفراده بالخلق والتدبير من خلال استخدام أداتي السمع والبصر، ولكن لا بد من قراءة آيات الوحي إذا أردنا أن نفهم آيات الكون بالطريقة التي تنجم عنها عبادة الله ومفهوم الاستخلاف لأنّ قراءة آيات الكون دون قراءة آيات الوحي نتيجتة العلمانية التي أفسدت كل شيء.

وإجمالاً فإنّ نظرية المعرفة الإسلامية لا تقوم على أساس رفض معطيات الحس والعقل، بل تدعو للأخذ بها؛ غير أن نظرية المعرفة الإسلامية لا تقف عند معطيات الحس والعقل وحدها وإنما تضم إليها معطيات الوحي ليستقيم الفهم السليم للوجود وأسرارة وتحقيق غايات الوجود وإعماره.

الاستنتاجات

1. إنّ "مفهوم مصادر المعرفة" في اللغة العربية يعني: منبع ومنبِت ومنشأ المعارف والعلوم وموردها الأصل الذي توجد فيه؛ وأنَّ "مفهوم مصادر المعرفة" في القرآن الكريم والبيان النبوي الشريف لم تخرج عن هذا المعنى واستعمالات اللغة العربية له.
2. إنَّ مفهوم "مصادر المعرفة" في الاصطلاح الفكري الإسلامي والغربي لايدل على منبع ومورد وأصل العلوم والمعارف تحديدا دون غيره، بل قد يستخدم للدلالة على "أدوات المعرفة" و "طرق تحصيل المعرفة"، فهو في الاستعمال الدلالي لدى معظم الباحثين مخلوط بتلك المفاهيم.

3. يتفق المفكرون المسلمون والغربيون على أنَّ (العقل والحس) مصدران رئيسان في نظرية المعرفة الإنسانية ويزيد بعضهم مصادر أخرى مثل الحدس، وبعضهم يذكر مصادر ثانوية للمعرفة الإنسانية مثل (الإلهام، والرؤيا الصادقة).
4. إن الرأي الراجح في مصادر المعرفة في النظرية التربوية الإسلامية هما مصدران لا ثالث لهما (الوحي والكون).
5. إنَّ الحواس أدوات ونواقل للمعرفة من الوحي والكون إلى العقل، وأنَّ العمليات العقلية والإدراكية هي طرق تحصيل المعرفة من مصادرها الرئيسة.
6. يتم تخزين الإدراك المكتسب من المعارف التي تمت معالجتها عقليا في الذهن، وهي بهذ الصورة تشكل مصادر ثانوية يُبنى عليها معارف جديدة من مصادرها الرئيسة آنفة الذكر.

التوصيات

- ضرورة التفريق بين مفاهيم: "مصادر المعرفة"، و"أدوات المعرفة"، و"طرق تحصيل المعرفة"، في تأليف المناهج الدراسية، ولدى الباحثين والمؤلفين.
- وقف طرح (العقل والحس) كمصدرين رئيسين في الطرح المعرفي في نظرية المعرفة الإنسانية.
- ضرورة إجراء مزيدٍ من الدراسات البحثية حول حقيقة مصادر المعرفة الثانوية (الإلهام والحدس، والرؤيا الصادقة).
- تحرير مفهوم "أدوات المعرفة"، ومفهوم "طرق تحصيل المعرفة".

الهوامش

[1] السلمي، سمير بن سعد، نظرية المعرفة في الإسلام دراسة تحليلية، مجلة كلية التربية، جامعة طنطا، المجلد 84، اكتوبر، 2021م.

[2] هزايمة، موسى، مصادر المعرفة التي اعتمدتها المدارس الفكرية وانعكاسها على أصول التربية في المجتمع الإنساني، جامعة اليرموك، الأردن، 2014م.

[3] الشريفين، عماد، وآخرون، مصادر المعرفة في القرآن الكريم والفلسفات التربوية: دراسة مقارنة، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد الثلاثون (2)، 2013م.

[4] الكردي، راجح، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، عمان، دار الفرقان، 2003م.

[5] الدغشي، أحمد، نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية، دمشق، دار الفكر، 2001م.

[6] الخطاطبة، عدنان، الأصل العقدي للتربية الإسلامية، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2012م، ص203.

[7] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، ص510.

[8] منها:

- ابن منظور: لسان العرب، 15 مجلداً،طبع بيروت، 1376هـ.
- الفيومي، مصباح اللغة، طبع مصر، 1313هـ.
- الأصبهاني، الراغب، مفردات اللغة، طبع مصر، 1234هـ.
- ابن فارس، مقاييس اللغة، 6 مجلدات، طبع مصر، 1390هـ.

[9] أبو العزم، عبد الغني، معجم الغني، معجم الكتروني، د.ط، د.ت.

[10] الفيروزآبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005م ص836.

[11] مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، 1989م، د.ط، ص415.

[12] عمر، أحمد مختار، اللغة العربية المعلصر، عالم الكتب، القاهرة، المجلد الأول، الطبعة الأولى، 2008م، ص1485.

[13] الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق محمد القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1988، ص249.

[14] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، د.ط، د.ت، ص80.

[15] الثعلبي، أبو اسحاق أحمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق الامام محمد بن عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1، 2002م، ص244.

[16] طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة، الفجالة، القاهرة، ج15، ص478.

[17] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، ص510.

[18] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، المرجع السابق نفسه.

[19] الطبراني، الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد، تحقيق المعجم الأوسط، دار الحرمين بالقاهرة، ج8، 381.

[20] الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير)، المكتب الإسلامي – بيروت–، المجلد 1، الطبعة 3، 1988م، حديث رقم 4123، ص758.

[21] المناوي، محمد عبدالرؤف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار المعرفة بيروت، ط2، 1972م، 375.

[22] الترمذي، الامام الحافظ محمد بن عيسى، سنن الترمذي، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، ط1، رقم الحديث 3103، ص696.

[23] بليل، عبد الكريم، مختصر المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن الكريم، ص28–30.

[24] الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، مكتبة المعارف، الرياض، كتاب القضاء، باب في القاضي يخطئ، برقم 3575.

[25] البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، تحقيق محمد عطا، دار الكتب العلمية، د.ت، ج10، ص199.

[26] الطبراني، الحافظ أبي القاسم، المعجم الأوسط، قسم التحقيق بدار الحرمين، القاهرة، 1995م، الجزء السادس، رقم الحديث: 6254ص226.

[27] البهادلي، أحمد، من هدى النبي والعترة في تهذيب النفس وآداب العشرة، تحقيق علي الأسدي، مكتبة فدك،الجزء الثاني، د،ط، د.ت ص340.

[28] الدغشي، محمد حسين، نظرية المعرفة في القران الكريم وتضميناتها التربوية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002م، ص194–196.

[29] الكردي، راجح عبد الحميد، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، مكتبة المؤيد، الرياض، ط1، 1992م، ص72، والأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام، دار الفرقان، ط2، 2008م، ص434.

[30] عبد الكريم، بليل، المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة، ط1، 2015م 617–625.

[31] التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان، 1996م، ج2، ص1583.

[32] صليبيا، جميل، المعجم الفلسفي، ج2، ص393.

[33] الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام، دار الفرقان، عمان، ط2، 2008م، ص 403.

[34] عبد الكريم، بليل، المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن، مرجع سابق، ص326.

[35] الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام، دار الفرقان، عمان، ط2، 2008م، ص 434–438.

[36] الزنيدي، عبد الرحمن بن زيد، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي – دراسة نقدية، مكتبة المؤيد، الرياض، ط1، 1992م ص94–96.

[37] الكردي، راجح، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، مكتبة المؤيد، المملكة العربية السعودية،ط1، 1992م، ص72.

[38] أمين، جواد، أدوات المعرفة في القرآن الكريم، مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية، ط1، 1435 هجري، ص21.

[39] الكيلاني، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة، دار البشائر الإسلامية، بيروت –لبنان – ط1، 1987م، ص248.

[40] الدغشي، أحمد محمد حسين، نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية، دار الفكر، دمشق، ج2، 2001م، ص195–196.

[41] الدغشي، أحمد محمد حسين، نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية، دار الفكر، دمشق، ج2، 2001م، ص204.

[42] الشريفين: عماد عبد الله، ومطالقة: أحلام، ونصيرات: رائدة، مصادر المعرفة في القران الكريم والفلسفات التربوية: دراسة مقارنة مجلة جامعة القدس المفتوحة للإبحاث والدراسات – العدد الثلاثون (2) – حزيران 2013، ص409.

[43] العلواني، طه جابر، نحو منهجية معرفية قرآنية، دار الفكر، دمشق، 2009م، ط1، 2009، ص264.

[44] بليل، عبد الكريم، المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن، ص625.

[45] ري، وآرمسون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة فؤاد كامل وآخرون، مراجعة زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2013م، ص138-146.

[46] الصدر، محمد باقر، فلسفتنا، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الثانية عشر، 1982م، ص61.

[47] ري، جوناثان، أرمسون، وج، أو، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق ص 111-115، وص 240.

[48] الصدر، محمد باقر، فلسفتنا، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الثانية عشر، 1982م، ص74.

[49] صليبيا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، 1982م، الجزء الأول، ص740.

[50] كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، كلمات عربية للترجمة والنشر، جمهورية مصر العربية،د.ط، د.ت، ص349. وري وآرمسون، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص87-91.

[51] زكريا، فؤاد، التفكير العلمي،ص72.

[52] ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هجري، ج5، ص379.

[53] الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998م، ج2،ص324.

[54] الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1995، ص46.

[55] رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، دار الكتاب، الجزائر، ط2، د.ت، ص81.

[56] القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1995م، ص34.

[57] عبده، محمد، رسالة التوحيد، جار الشروق، بيروت، ط1، 1994م، ص102.

[58]القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1995م، ص33.

[59] المسير، محمد سيد أحمد، الرسول والوحي، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1987م، ص237.

[60] الكردي، راجح، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص720.

[61] عبد الحميد، محسن، تجديد الفكر الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، ط (1)، 1996م، ص148.

[62] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق، ط4، 2004م، ص172.

[63] الفيروزآبادي، مجد الدين محمد، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005م، ص538.

[64] بليل، مختصر المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القران، ص124-128.

[65] أمين، جواد، أدوات المعرفة في القرآن الكريم، ص57.

[66] صليبيا، جميل، المعجم الفلسفي، ج1، ص 468.

[67] بليل، المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القران، ص293.

[68] بليل، عبد الكريم، مختصر المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن، ص199-205.
[69] بليل، المفاهيم المفتاحية، ص621.
[70] الرازي، زين الدين الحنفي، مختار الصحاح، تحقيق يوسف محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1999م، ص57.
[71] صليبيا، المعجم الفلسفي، ج2، ص84.
[72] ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص458.
[73] الجرجاني، علي، معجم التعريفات، تحقيق محمد المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص127-128.
[74] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، ط4، 2004م، ص616.
[75] أبو العزم، عبد الغني، المعجم الغني، معجم الكتروني، مادة عقل.
[76] عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، عالم الكتب، ط1، 2008م، ص1532.
[77] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص1033 – ص1034.
[78] الجرجاني، معجم التعريفات، ص128.
[79] الغزالي، أبوحامد، معيار العلم في المنطق، شرحه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، ص276.
[80] صليبيا، جميل، المعجم الفلسفي، ج2، ص81-91.
[81] بليل، عبد الكريم، مختصر المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن، ص106.
[82] الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القران، دار الفكر للطباعة،بيروت،1995م،ج5،ص 275.
[83] الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، تحقيق:علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1،1415هجري ،ج9، ص160.
[84] ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، تحقيق:عبد الرحمن بن حسن، دار عالم الفوائد.ص354.
[85] بن تيمية، تقي الدين أحمد، التحفة العراقية في الأعمال القلبية، تحقيق، يحى الهنيدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1،2000م، ص106.
[86] الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، ط1،2005م، ص879.